مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 7: 2019.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(27), No.(7): 2019.

بلاغة الصورة الفنية في هاشميات الكميت

فاتن فاضل كاظم
قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل/محافظة بابل / جمهورية العراق
Dbabil26@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 30/ 7 / 2019
تاريخ قبول النشر:27 / 8/ 2019
تاريخ النشر: 11 / 2/ 2020

الخلاصة

هاشميات الكميت مجموعة قصائد من عيون التراث العربي قالها الشاعر في الدفاع عن الهاشميين، ونضال خصومهم من بني أمية، وقد تميزت بصورها الفنية المبدعة التي تعد دليلا على مقدرة الشاعر وموهبته محاولا فيها نقل فكرته وعاطفته معا إلى متلقيه، وتكمن بلاغة الصورة في قدرتها على تصوير المعنى وإيصاله للمتلقي بشكل فاعل ومؤثر يجعله يتحسس مشاعر المبـــدع ويستشعرها ويشاركه فيها، وتبدو هذه البلاغة واضحة جلية في صوره الاستعارية التي كان لها النصيب الأوفى من الهاشميات فهي توقظ أحاسيس المتلقي وتؤثر فيه الأمر الذي جعلها ظاهرة أسلوبية متميزة في هاشمياته، فالاستعارة جوهر الشعر وفيها يتجلّى نشاط اللغة وقدرتها على تَحطِيم حدود الأشياء وخلط العناصر بتحويلها من حقيقتها الموضوعية إلى حقيقة شعرية.

الكلمات الدالة: هاشميات، الكميت ، بلاغة، الاستعارة، التأثير، المتلقي.

The Eloquenc of Technical Picture in Hashimiat Alkumait

Faten Fadhil Kadhim
Arabic Language Department/ The Education College of Human Sciences
Babylon University/ Bebel Government/ Republic of Iraq

Abstract

Hashimiat AlKumait are group of poems from the eyes of Arabic heritage, the poet said them in defense Al-Hashimieen and struggle of their adversaries from Beny Umeia. Hashimiat Alkumait had specified with their technical creative picture that can be considered as catalog on the poet ability and his talent trying to transport his idea and emotion together to recipient.

fluoresces and shear them. This phrasemaking can be seen clear up star in its allegoricalness pictures that have the largest allotment from Alhashimiat. The eloquence of picture lies in ability of depicting the meaning and connect it to the recipient with actor and seminal shape that made it sensitive to emotions of creative, Alhashimiat awaken the emotions of receptor and influence on him that made it specific phenomenon in his Hashimiat. Trops is poet core and ca seen in it the activity of language and its ability on crashing borders of the things and blend the elements by transforming them from its objectivity fact to poetry fact.

Key words: Hashimiat, Alkumait, eloquence,trops, influence, receptor.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1- المقدمة

الكميت شاعر إسلامي وخطيب بارع من قبيلة بني أسد العربية، وهو من ابرز شعراء الكوفة في القرن الأوّل الهجري، على علم واسع باللغة والأدب حتى وصف بأنه " شاعر، مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها "[1، 31]، وأنسابها [2، 1: 410].

ويعد من فقهاء الشيعة، إذ " كان متشيعا لآل البيت يمدح الهاشميين ويتعصب لمضر على اليمن، وكانت حياته مليئة بالاضراب والمناقضات " [3، 1: 697]، وقد كانت ولادته في عام 60 وهو العام نفسه الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، ووفاته في خلافة مروان سنة 120ه. [15/4: 127]

وشعر الكميت موضع احتجاج اللغويين والنحويين لثقتهم بكلامه وعلمه، إذ " لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان "[1،5 :70]، وكان لشاعريته بواعث عدة منها: قدرته الشعرية بسبب استعداده الفطري ووراثته للشعر من قومه وتأثره ببيئته الكوفة التي كانت محط عناية العلماء بالشعر وثقافته الأدبية الواسعة زيادة على عقيدته الشيعية ودفاعه عنها.

2- الفصل الاول/ الاطار المنهجي

هاشميات الكميت من عيون التراث العربي، وهي " قصائد قالها الشاعر في الدفاع عن الهاشميين، ونضال خصومهم من بني أمية، وتبلغ نحو 563 بيتا، ومعها بعض مقطعات تبلغ نحو العشرين بيتا... سمة الهاشميات الواضحة هي تمجيد آل البيت وذكر المظالم التي لحقت بهم في عصر آل أمية والدفاع عنهم، وذكر فضائلهم، ومثالب خصومهم "[1، 33].

والهاشميات منهج شعري جديد، [6 ، 24] بأبيات صادرة " عن ذوق جديد لا تعرفه في العربية لشاعر قبله "[7، 276] وان زعم ان قيمتها التاريخية اكبر من قيمتها الأدبية [4، 698]، إلا انها زاخرة بالعواطف الإنسانية الصادقة التي تبرز لدى شعراء الشيعة أكثر من شعراء بني أمية لإخلاصهم لمذهبهم [8، 217]، وقد نظمها الكميت في مرحلة متقدمة من عمره وكانت أينع ثماره.[6، 34]

والشعر قائم على الصورة الفنية [9، 14]،" فالتصوير الفني هو الحياة التي تسري في عروق الشعر"[10، 110]، والصور الفنية هي المجال الحيوي الذي ينمو فيه العمل الفني، فهي تجمع الكلمات التي قد تبدو متباعدة خارج النص، وتوحد بين الأشياء المتناقضة وتصبها في وحدة منسجمة ومتكاملة، فهي وسائل يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى متلقيه.[11،242]

والشاعر المبدع هو الذي يصور الأشياء بصورها [12،128]، لذا تعد الصورة دليلا على مقدرة الشاعر وموهبته، ومن ثم فاستعمالها يختلف من شاعر إلى آخر تبعا لذلك فهي تميزه عن سواه من الشعراء، لا سيما وان الصورة هي " ابنة الخيال الشعري الممتاز الذي يتألف من قوى داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد ومنسجم "[13، 14].

وتتمثل بلاغة الصورة الشعرية في قدرتها الفاعلة على التأثير في متلقيها وإيصال أحاسيس المبدع ومشاعره إليهم وحثهم على التفاعل مع المبدع ومشاركته أحاسيسه ومشاعره، وقد قال القدماء " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن " [12، 10]، إذ تكمن بلاغة الصورة في قدرتها على تصوير المعنى وإيصاله للمتلقي بشكل يؤثر فيه ويجعله يتحسس

مشاعر المبدع ويستشعرها ويشاركه فيها، ولا سيما في العصر الاموي الذي كان فيه للشعر العربي منزلته في الدولة زيادة على تأثيره البالغ في النفوس.

وتعد الصورة الفنية الشكل الخارجي لأي عمل فني، وهي تعبر عن روح الفنان وابداعه وتحمل جميع أحاسيسه وعواطفه ومدركاته، وتحمل الصورة في هاشميات الكميت بصماته الفنية، ويطغى عليها التشكيل الجمالي، وتجمع بين المستويين الحسي والذهني.

(3) الفصل الثاني

1.3 المحور الاول

يمكننا تلمس بلاغة التصوير في هاشميات الكميت في صور فنية عدة، وأبرزها صوره الاستعارية، اذ تبدو بلاغة الصورة الفنية بشكل واضح ونراها جلية في صوره الاستعارية التي كان لها النصيب الأوفى في الهاشميات [6،181]، فالكميت من ابرز الشعراء الذين امتازت أشعارهم بالاستعارة بوصفها وسيلة من وسائل البيان مع ما تضفيه من جمال وحسن تبليغ، " لأنها تعمل على تكوين بؤرة الصورة لدى المتلقي عن طريق تغريب المعتاد والمألوف وجعله حقيقة لذلك الشيء المستعار له، وهنا تحدث الاستجابة لدى المتلقي " [14، 13].

والاستعارة تشبيه حذف احد طرفيه، إلا انها تختلف عن التشبيه في إحلال طرف محل الآخر مع احتفاظ ذلك الطرف بصفات الطرف المحذوف وتجاوز صفة التشابه إلى الاندماج بينهما. فالاستعارة " تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ "[12، 286]، ومن ثم فهي تمتلك من الأهمية ما يجعلها تفوق صورة البيان الأخرى، لذا كان اختيارنا لدراستها أنموذجا يتضح فيه معنى البلاغة الخاص بإيصال الصورة للمتلقي، ذلك ان للاستعارة خصيصة أسلوبية فهي " تعمل على تكثيف التصوير البياني لنمط الاستعارة في نفس المتلقي" [6، 170].

وتقوم الطبيعة التركيبية للاستعارة على الجمع بين المحسوس والملموس وتؤلف بينهما في صورة موحدة يلعب الخيال فيها دورا كبيرا بشكل يوصلها للمتلقي ويؤثر فيه، زيادة على ان للاستعارة دورا بارزا في تكوين الصورة الفنية التي تعبر عن إحساس مبدعها ومشاعره، فالصورة الاستعارية تتكون من أطراف حسية مرتبطة بعلاقات خفية ومشحونة بعواطف إنسانية وهذا ما يجعل بلاغتها واضحة.

وتعد الاستعارة من أكثر الاداءات البيانية التي تتطلب إعمال العقل والتأمل العقلي لأنها تعتمد على ركنين يغيب أحدهما ويبقى الآخر، وللصورة الاستعارية أهمية كبيرة عند النقاد العرب القدماء، فالشاعر حينما يلجأ للاستعارة فذلك لأجل " شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الّذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة " [12، 268].

وتتميز الهاشميات بهذا اللون من الصورة وبلاغته الكبيرة الواضحة، إذ اننا " نجد الكميت يفهم الصورة الفنية على انها أداة مساندة ورديف مناسب للوصف والشرح اللذين استخدمهما الأساس الأول في إيضاح أفكاره محاولا تبسيطها وإقناع المتلقي بها " [6،170].

ولم يكن وجود الاستعارة في شعر الكميت دليلا يتخذه لإقناع المتلقي فحسب، بل انه " في الاستعارة يعمل على حمل اللغة للتعبير عن معان أكثر بمساحة اقل، وليس كثرة المعنى فقط ميزة الاستعارة بل عمق المعنى وغزارته سمة هامة لها " [6، 184].

واستعارات الكميت تحرك المشاعر الإنسانية وتوقظ أحاسيس المتلقي وهي دليل على قوة شاعريته وبلاغة صوره الفنية الأمر الذي جعلها ظاهرة أسلوبية في هاشمياته، إذ " يرقى مستوى التصوير عند الكميت عندما يصير إلى استعمال الاستعارة إذ ان تجاوز الحدود الفاصلة بين الأشياء تجعله يخلق اللغة خلقا جديدا يخرج بها عن الذوات وحقائقها إلى صورة ذات دلالات وطاقات تتوالد باستمرار حسب مقدرة المبدع في جعل المتلقي يهجس المعنى من خلال إيحاءات لغته في القصيدة وما يحدثه من تجاوز لحقيقة الألفاظ [183،6]".

2.3 المحور الثاني

ان أكثر أنواع الاستعارة استخداماً ووضوحا في بلاغتها عند الكميت في هاشمياته، المكنية والتصريحية فهي من أهم سبل التصوير عنده، إذ يستخدم الشاعر ألوان الخيال في نقل فكرته بصوره الاستعارية المتنوعة متنقلا بين التصريحية والمكنية ويكثر منها في هاشميته الرابعة التي يقول فيها: [147،15]

وهل امة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل

إذن نلحظ في هذه الأبيات مزج الكميت للروح الحسية بالمعنوية واستخراجه للصور الرائعة، إذ ترد الاستعارة المكنية في الشطر الثاني من البيت، فالنعسة: النومة، والمتزمل بثيابه فيشبهها بغطاء يلزم كشفه ثم يحذف المشبه به ويأتي بما يدل عليه فكأن الأمة نائمة وذلك لسكوتهم على جور بني أمية راضية بولايتهم.

ويتبعها في القصيدة نفسها بتصويره الاستعاري على سبيل الاستعارة المكنية في قوله: [15، 149]

نعالج مرمقا من العيش فانيا له حارك لا يحمل العبء أجزل

فيذكر الدهر الذي ذهب خيره وبقي شره مشبها العيش في سرعة فنائه بالمرمق وهو الجلد المدبوغ الذي يخلق سريعا فله حارك لا يحمل العبء أجزل، و(الحارك) مفصل العنق في الصلب و(الاجزل) من به قروح في الكتفين ويصور ذلك في صورة استعارية بليغة يحذف منها المشبه ويذكر المشبه به مصورا أجزاءه ليوصل للمتلقي صفة ذلك الدهر ويزهده بملاذه.

وبعد أبيات من القصيدة نفسها يذكر فيها بيتين في احدهما صورة تشبيهية للعيش انه كالخباء الخلق البالي فالشمس تدخل فيه فلا يستظل بظله ويتبعها الكميت باستعارة تصريحية في قوله: [15، 150]

فأصبح باقي عيشنا وكأنه لواصفه هدم الخباء المرعبل

إذا حيص منه جانب راح جانب بفتقين راح منهما المتظلل

ويشبه الكميت العيش بشيء مقطّع لا يجديه الإصلاح بخياطته وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، أي كلما قدرنا ان نصلح شيئا من دهرنا فسد لكثرة فساده وتفاقمه، مبينا في هذه الصورة لمتلقيه حالة الياس من اصلاح مجتمعه بعد تمزق ذلك المجتمع.

وللكلمة دور كبير في صناعة المعنى وتكمن بلاغة الصورة باجتماعها مع الكلمة التي تجاورها، وتتمثل في هاشميات الكميت في شواهد استعارية مسبوكة رائعة بين المتضايفين، تخرج من دائرة الواقع وتدفع بمتلقيها إلى التحليق في اجواء خياله.

ويتم الكميت وصف العيش بعد بيت في القصيدة نفسها بتصويره لقلة خير الناس في قوله: [15، 152]

تمقق اخلاف المعيشة منهم رضاعا واخلاف المعيشة حفل

فالمقق أسوأ أنواع الرضاع فيشبه المعيشة بشيء من الممكن رضاعه ويحذف المشبه به ويأتي بما يلائمه وهي كلمة (تمقّق، واخلاف) على سبيل الاستعارة المكنية فالمتمقق الذي يرضع مرة بعد أخرى على شبع فيمتلئ جوفه ولا تمتلئ عينه.

وبعد أبيات من الصور التشبيهية نجد بلاغة الصورة الاستعارية واضحة في قوله: [15، 155]

لنا راعيا سوء مضيعان منهما أبو جعدة العادي وعرفاء

ويريد بقوله (راعيا) هشام وخالد القسري وكانا واليين على العراق إلا انه يستعير لفظين للتعبير عن سوئهما وتضييعهما للرعية والدين، وذلك بذكره لأبي جعدة العادي كناية عن الذئب، وعرفاء جيال كناية عن الضبع وحذفه للمشبه والتصريح بالمشبه به، وفي هذه الصورة تتضح لنا خبرة الكميت الطويلة وقدرته على توجيه دوافع المتلقي نحو الزاوية التي يريد اضاءتها وهي وصف احوال مجتمعه وتعميق وعي متلقيه به.

ويصف الكميت في الهاشمية نفسها الظلم وهو من المعاني العقلية بتجسيده في قوله: [15، 159]

الم يتدبر آية فتدله على ترك ما يأتي أم القلب مقفل

فالقلب كالقفل وهذا من التجسيد بتشبيه القلب بالقفل في اقتباس قراني يعبر به عن كفرهم وعدم تدبرهم لآيات القران النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام ومن ثم عدم قبولهم لحجة الله عليهم.

ويأتي بصورة استعارية متفردة مصورا فيها طمع أعداء آل محمد في الدنيا وصفهم بالذئاب في خستهم وطمعهم وتهافتهم، بقوله: [15، 168]

تهافت ذؤبان المطامع حوله فريقان شتى ذو سلاح واعزل

أما حين ينتقل لمدح أهل البيت عليهم السلام في القصيدة نفسها فانه يرفعهم إلى السماء ليصف هدايتهم واقتداء الناس بهم فكأنهم النجوم في السماء، ويذكر ذلك في استعارة جميلة يذكرها في مدح بني هاشم وذم أعدائهم في قوله: [175/15]

وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهم إذا الليل أمسى وبالناس أليل

وهذه صورة استعارية موحية عميقة في بلاغتها، فقد استعار الشاعر لفظ (النجوم) لوصف أهل البيت عليهم السلام مصورا ما يتركه ضياء تلك النجوم وعلوها في النفوس من أمل وسط ظلام الجور، ويضرب الكميت بصورة مثلا لظلمة الجور وفساد الدين زمن حكم بني أمية فيذكر المشبه به ويحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، ليصف ما خلفه ذلك الظلام من خوف وفساد في الدين باستعارة (الليل) له حتى صارت مثلا يضرب لظلمة الجور وفساد الدين وسواده، ثم ينتقل لتشبيههم بتشبيهات بليغة قبل ان يعود إلى الاستعارة.

3.3 المحور الثالث

ويصور الكميت فضل بني هاشم باستعاراته الجميلة المتتالية ويقرن صوره الاستعارية بالتكرار ليزيدها بلاغة ويضاعف قوتها وتأثيرها في متلقيه وذلك بالنظر "الى لما يتركه من اثر انفعالي في نفس المتلقي " [16، 1113] كقوله في ثلاثة ابيات متتالية من الهاشمية نفسها: [15، 177– 178]

وإنّهم للنّاس فيما ينوبهم اكف ندى تجدي عليهم وتفضل

وإنّهم للنّاس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقللو وحللوا

وإنّهم للنّاس فيما ينوبهم مصابيح تهدي من ضلال ومنزل

فيصور في البيت الأول عطاء بني هاشم ونداهم بصورة إنسان ثم يحذف المشبه بـه ويـأتي بأحـد لوازمه وهو كف الإنسان المعتادة للعطاء. وفي البيت الثاني يصفهم بلفظ (عرى) ويراد به الشجر وما تبقـى إذا جف الشجر لتكاتفه، وقد استعاره الشاعر لبني هاشم، لبيان مدى انتفاع الناس بهم، فهـم غيـوث النـاس ومصابيح تهديهم فيما يشك فيه من الحق والباطل وهم " اهل الفضل والنعم على الناس " [17، 396)

وتتجاوز مخيلة الكميت في هاشمياته الحدود الفاصلة بين الموجودات لتصل إلى توحيـد العلاقـات القائمة بينها في صور استعارية جميلة، تنبعث من مؤلفها لتصل إلى قلب المتلقي وتمـس شـغافه ببلاغتهـا وقدرتها، فيقول في الهاشمية نفسها: [15، 179]

فلا رغبتي فيهم تغيض لاهبة ولا عقدتي في حبهم تتحلل

وقد شبه الكميت حبه لأهل البيت عليهم السلام ورغبته فيهم بالماء ثم حذف المشبه به وذكر احـدى صفاته وهي (تغيض) أي تنقص فما عقد عليه قلبه من حبهم لا ينقص ولا يتحلل. ونجد في شعر الكميت قدرة فائقة على تصوير المعنى وبلاغة في توصيله إلى متلقيه بصوره الاستعارية وذلك فـي صـبها فـي قالـب تشخيصي أو تجسيمي رائع ، وهاشميات الكميت حافلة بهذا اللون وبلاغته على الرغم من واقعيتها ونبرتهـا الخطابية.

(4) الفصل الثالث

1.4 المحور الاول

وقد استعان الكميت في هاشمياته بالتشخيص والتجسيم، واستخدمهما استخداما واسعا بفضل ملكتـه الخلاقة في شعره بأسره وفي هاشمياته بالذات ليعلي صوته بحب أهل البيت عليهم السلام وبغـض أعـدائهم فكان دقيق الملاحظة يقارب الواقع بمشاعره وأحاسيسه، ويتعمق في وصف الأشـياء وتـصويرها تـصويرا بارعا، ويخاطبها كأنها إنسان له جوارح وأحاسيس وانفعالات ويجسمها ويصورها مقربة من أذهان المتلقين.

ونجد التشخيص واضحا في هاشميته الثالثة في وصف الدار التي غدت موحشة بعد ذهاب سـاكنيها وانقلاب الأمر عليهم ليحل محلهم من لا يستحق ذلك إذ يقول: [15، 105]

ما لي في الدار بعد ساكنها ولو تذكـرت أهلها ارب

لا الدار ردت جواب سائلها ولا بكت أهلها إذا اغتربوا

فيصور الدار بصورة شخص يرد الجواب ويبكي مثلما يعطي الديار صفة البكـاء بتشخيـصه فـي الهاشمية السادسة بقوله: [15،200]

ولا تقف بديار الحي تسألها تبكي معارفها ضلا بتضليل

ومن الاستعارات البليغة في هاشميات الكميت قوله فـي الهاشـمية الخامـسة فـي وصـف أهـل البيت: [15،192]

أناس إذا وردت بحرهم صوادي الغرائب لم تضرب

ويكثر الكميت في صوره الاستعارية من التشخيص كتصوير الـدهر فـي الهاشـمية نفـسها فـي قوله: [15، 195]

وتوكاف الدموع على اكتئاب الدهر موجعه الضلوعا

فيصف الكميت في صورة استعارية جميلة حالة الاكتئاب والحزن الذي ينزله الدهر بالإنسان فيشعر بدنه بالألم والهم، ويجعل الكميت من الدهر شخصا يضحك ويبكي من خلال تكراره لمفردة الدهر فيجعلها عنصرا رئيسا فاعلا لبناء صورته، ونجد مثل ذلك في قوله بعد أبيات من القصيدة نفسها : [15، 198]

ألا أف لدهر كنت فيه هدانا طائعا لكم مطيعا

وتكراره لوصف الدهر " يؤكد من خلاله تقلب الدهر وتبدله بأهله وعدم استقراره فهو ذو صروف وحوادث وألوان مفرحة ومحزنة فلا عجب من رؤيته متبدلا لأن من يعيش في هذه الدنيا سيرى العجب من الدهر " [177/18]

ويرد التجسيد في الهاشمية الأولى ليصور به شجاعة أهل البيت عليهم السلام وحسرته على من استشهد منهم مخاطبا بقوله في القصيدة نفسها: [15،30]

كم لكم ثم كم لكم من قتيل وصريع تحت السنابك دامي

وخميس يلفه بخميس وفثام حواه بعد فثام

ويصف (الخميس) أي الجيش بجمعه وكثرته مجسدا لهم بصورة الكتاب أو الثوب الذي يلف دلالة على قدرتهم وتمكنهم من أعدائهم.

ويتبع ذلك بعد ابيات بصورة استعارية اخرى بجعله الغيبة كالطعام – وهو معنى قراني – بدليل فعل (تناولت) وحذف الطعام فكأنه بذكر أعراض الناس بالغيبة لمن مضى ومن بقي منهم فكأنه يأكل لحومهم بقوله:[15، 35]

وتناولت من تناول بالغي بة أعراضهم وقل اكتتامي

2.4 المحور الثاني

ويجمع الكميت صورا استعارية عدة في القصيدة الواحدة ولا سيما في الهاشمية الثانية ، فيصور المودة بصورة طائر مجسما بتشبيه المعنوي بالمادي: [15، 47]

خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

إذ يشبه الكميت المودة لأهل البيت ع وهي شيء معنوي بشيء مادي محسوس بصورة طائر ذي جناحين ولكنه حذف المشبه به وجاء باحد لوازمه وهو الجناح مع قرينة دالة في قوله (خفضت)، معبرا بذلك عن لين جانبه لهم مدلا على شدة حبه وتعلقه بآل البيت عليهم السلام بصورة استعارية مقتبسة من القران الكريم، ونرى بلاغة الصورة واضحة فيما " أشاع الرقة والاطمئنان في هذا البيت وجعلها تظل بظلالها على مساحة واسعة من القصيدة تسير في نفس المتلقي ببرود وتنساب كما ينساب الماء على الزجاج "[6،193].

ويقول بعد ذلك في موضع آخر من الهاشمية نفسها: [15، 48]

وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها وانّي لأوذي فيهم وأؤنّب

فيجعل (العداوة) وهي شيء معنوي كالكرة أي يشبهها بشيء مادي، ويحذف المشبه به ويأتي بلازمة من لوازمه وهي الرمي، أي يرمونني بالعداوة في ميلي إلى بني هاشم معبرا من خلال هذه الصورة الاستعارية عن تلك الدرجة الكبيرة من الكره والبغض الذي يلقاه من أعدائه بسبب نقده لهم.

ثم يصف حال المجتمع زمن بني أمية وكيفية تعاملها معهم بقوله: [15، 49]

فقل للذي في ظل عمياء جونة يرى الجور عدلاً أين لا أين تذهب

وقد أخفى الكميت هنا المشبه وهو (الفتنة) على سبيل الاستعارة واستعمل المشبه به (عمياء جونة) لوصف خصوم آل البيت بالجهل الذي تخفيه الفتنة وجاء بقرينة تدل عليه في قوله (جونة) التي تعني سوداء مظلمة لا يهتدى بها إلى الرشد أي الدين أو المذهب الذي يرشد الإنسان ويهديه إلى العدل، فالفتن عمياء تعمي الإنسان وتقلب موازين الأمور فتجعل الجور في نظره عدلا.

ويعود الكميت لذكر بني امية في أبيات متتابعة ويصف سوء افعالهم وتعاملهم مع الناس وحال المجتمع في زمنهم بأسلوب تجسيدي نلاحظ فيه عمق المعنى وغزارته بوصفه لحال المجتمع زمن حكم الاموي فيقول : [15،57– 58]

إذا اتضعونا كارهين لبيعة أناخوا لأخرى والأزمة تجذب
ردافى علينا لم يسيموا رعية وهمهم ان يمتروها فيحلبوا
لينتجوها فتنة بعد فتنة فيفتلصوا افلاءها ثم يربيوا

ويستعير الكميت ما توصف به أفعال الحيوان لوصف آل أمية مشبها حالهم بحاله ، مستعيرا ألفاظ (اتضعونا، أناخوا، يحلبوا) التي يوصف بها البعير ليدل بهذا الوصف على ثقل الامر على نفسه بذكره الناقة وهي تنوخ فيحذف المشبه به ويذكر ما له صلة به، (اتضعونا) التي ذكرها في البيت الأول فهي من الأخذ برأس البعير للركوب على عنقه قهرا للتعبير عن إكراه بني أمية الناس على البيعة وإجبارهم على والرضوخ لحكمهم والانصياع لأوامرهم بصور بدوية حسية، ذلك ان " الكميت حين يهجو الأمويين ، إنما يهجوهم لبعدهم عن هدي القرآن والسنة، وضلالهم وبدعهم التي ابتدعوها " [19، 80].

أما الاستعارات الباقية فهي تدعم هذه الاستعارة وتوصل معناها للمتلقي فيختمها ليصف حصيلة الأمر وثمرته فليس سوى الفتن، لتكتمل الصورة الاستعارية فلا يقف عند حد الوصف السطحي، ذلك " ان قيمة الاستعارية هي قيمة أسلوبية لا يمكن تحققها بالكلمة المفردة أو الوحدات اللغوية البسيطة. وإنما تتجسد من خلال الصورة القادرة على خلق الإيحاءات المتعددة، والتغلغل في النفس البشرية متجاوزة التقرير والمباشرة والوصف السطحي إلى الإبداع الحقيقي " [15/20].

ويقول في الهاشمية نفسها: [15/61]

بورك قبر أنت فيه وبوركت به، وله أهل لذلك يثرب

فيجسد الكميت صورة (القبر) وهو شيء مادي بصورة عمل مادي أو معنوي تناله البركة وهي أمر معنوي مترحما على الرسول المصطفى صلى الله عليه واله وسلم داعيا له بالبركة.

وفي موضع آخر من القصيدة نفسها يصف في صور حسية جميلة بستوحيها من البادية بقوله: [15، 68– 69]

إذا أنتجوا الحرب الغوان حوارها وحنّ شريج بالمنايا وتنضب
فيا لك أمر قد أشتت أموره ودنيا أرى أسبابها تتقضّ

ويجسد الكميت الحرب في البيت الأول في صورة مادية، والقرينة (أنتجوا) في صورة فنية جميلة يسهل على المتلقي التفاعل معها، أما البيت الثاني فيجسد فيه الدنيا وأسبابها في إطار مادي، لتصوير الحال الذي آلت إليه الدولة من تفرق وشتات بعد استلام الأمويين الحكم موضحا سياستهم القائمة على الظلم والفساد.

ويستمر الكميت في بلاغة صورة الاستعارية في هاشميته، اذ يقول مشبها الدنيا بشئ مادي محسوس فكأنها انس فاعل ثم يحذف المشبه به ويأتي بلازمة من لوازمه وهي (تفرقت) ضاربا ذلك مثلا للحرام في قوله: [15،72].

تفرقت الدنيا بهم وتعرضت لهم بالنّطاف الآجنات فأشربوا

ويذكر الكميت (اشربوا): أي سقوا ويريد به خلط بني أمية للحرام بالحلال بعد ان خالط قلوبهم حب الدنيا، أما النطاف الاجنات: فهي المياه المتغيرة ذلك ان الدنيا قد انشقت عليهم بالمأكل والمشرب من غير حلة.

ومن التجسيم في هاشميات الكميت قوله في وصف علم اهل البيت عليهم السلام : [15، 79]

وان هاج نبت العلم في الناس لم تزل لهم تلعة خضراء منهم ومذنب

ويذكر الكميت في الهاشمية الثانية " وهي من الشعر السياسي الذي كان ينظمه الكميت ليناضل به بني أمية ويندد بحكمهم للعالم الإسلامي " [27،1]، الفعل (هاج) بمعنى قل، والتلعة: مجرى الماء إلى الرياض، والمذنب: الوادي، وتبرز الاستعارة في قوله (نبت العلم) فالعلم كالنبات يزرع وتنبت ثماره، فيشبه علمهم بكثرة النبات الذي ينمو وان قل عند الناس فمثله كمثل النبات النامي في مجاري الماء فلا ينضب وان قل عند الناس، ويمزج الصورة بالتضاد فيصف زيادته ونماءه في أهل البيت ع مهما قل علم الناس، ويأتي بما يدل على استمرارية الحياة لذلك النبات وهي مجاري الماء من التلاع والمذانب التي تبدو خضراء الجوانب بعلم أهل البيت الممتد الذي لا تخبو جذوته.

مما سبق من ورود الاستعارة في الهاشميات ولا سيما الهاشمية الثانية نجد " أن الاستعارة أكسبت البائية بعدا جماليا وفنيا، وضح الفكرة التي أراد لها الكميت أن تصل إلى المتلقي لتؤثر فيه، وتجعله يتفاعل معه، فكانت بليغة التأثير، قوية التصوير، فزادت بذلك المعنى عمقا، والدلالة الثالثة تكثيفا " [21، 85].

وفي ختام البحث يتضح لنا استثمار الكميت في هاشمياته لطاقات اللغة في خلق عالمها الكامن فيها، وامتزاجها بمكونات العالم الخارجي واستخلاصه لصور فنية متميزة ببلاغتها وقدراتها الايصالية، فالاستعارة جوهر الشعر وفيها يتجلّى نشاط اللغة وقدرتها على تَحطِيم حدود الأشياء وخلط العناصر، ثم إعادة خلقها من جديد وذلك بتحويل اللغة من حقيقتها الموضوعية الى حقيقة شعرية ويمكننا من خلالها تلمس بلاغة الصورة الفنية وقدراتها الخلاقة.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

(5) المصادر

(1) عبد الغني إسماعيل وعبد المنعم خفاجة، " من بلاغة العرب "، المطبعة المنيرية، ط1، 1956م.
(2) ابن ياقوت الحموي، " معجم الأدباء "، تحق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1963م.
(3) عبد القادر البغدادي، " خزانة الأدب " تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م.
(4) عمر فروخ ، " تاريخ الأدب العربي "، دار العلم للملايين، ط 8، 2006م.
(5) أبو الفرج الأصفهاني، " الأغاني "، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1992م.
(6) رزاق عبد الأمير الطيار، " لغة الشعر في هاشميات الكميت"، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الاشرف، 2012م.
(7) شوقي ضيف، " التطور والتجديد في الشعر الأموي "، دار المعارف، مصر ط8، د. ت. (تاريخ وصول الباحثة الى المصدر سنة 2019م).
(8) احمد الحوفي، " أدب السياسة في العصر الأموي"، دار القلم، بيروت، 1995م.

(9) جابر عصفور، " الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي "، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
(10) إسماعيل العالم ، " موضوعات الصورة الشعرية في شعر طرفة بن العبد ومصادرها "، مجلة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 18، ع 2، 2002م.
(11) أحمد الشايب، " أصول النقد الأدبي"، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط 1، 1994م.
(12) أبو هلال العسكري، " كتاب الصناعتين "، تحق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.
(13) عبد القادر الرباعي، " الصورة الفنية في شعر ابي تمام "، الدراسات الادبية واللغوية، الاردن، ط1، 1980م.
(14) غسان عبد خلف، "نمط الاستعارة وأثره البياني في التعبير القرآني"، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، 2014م.
(15) داود سلوم ونوري حمودي القيسي، " شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي " بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط2 ، 1986م.
(16) فاتن فاضل كاظم، " التكرار وصدى النفس في شعر دعبل "، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، م21، ع4، 2013م.
(17) فاتن فاضل كاظم ، " الخطابية في شعر الفرزدق "، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، م26، ع8، 2018م.
(18) آيات عبد جوني، " القيم الجمالية في شعر الكميت بن زيد الاسدي "، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2006م.
(19) سامي مكي العاني، " الإسلام والشعر "، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،ع 6، 1996م.
(20) بسام قطوس وموسى ربابعة، " الاستعارة التنافرية في نماذج من الشعر الحديث "، مجلة مؤتة للدراسات الحديثة، الاردن، مج 9، ع1، 1994م.
(21) حدَة شيبان، " المدحة الهاشمية في بائية الكميت دراسة أسلوبية "، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2016م.